مقدمـــة

الحمد لله رب العـالمين ، ولا عدوان إلا علـى الظـالمين ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه . وأشـهد أن محمداً عبده ورسولـه صلى الله عليه وعلى أصحابه أجمعين .. أما بعد :

فإن حب الإنسـان لوطنـه واعتزازه وافتخـاره [بـــه] فـي جميع الأمور وكل الأحوال يعتبر غريزة وجبلة تكمن فيه ، يبذل في سبيلها الغالي والنفيس ؛ بل إنـه قد يضحي بنفسه من أجلـه ، خصوصـاً إذا كان ذلك فـي مقابلـة عدوٍ يروم وطنـه بسوء ، فمـا بالـك أخـي المسلم بـوطن يطبق شـرع الله وينفذ حدوده وأحكامـه ، وهـو قبلـة المسلمين ومهوى افئدتهم ومتطلعهم فيـه تحقيـق التوحيد والمنهج السليم ؛ ألا يلـزم من ذلك أن تكون مُوَاطنـة أهلـه لـه أقوى وأشد ، والدفاع عنـه باللسـان والقلم والسنان يعد جهاداً فـي سبيل الله وإعلاء لكلمتـه جل وعلا ، اقصد هذا الوطن الذي نعيش فيه – المملكة العربية السعودية – .

رُوي : " إن حب الوطن من الإيمان " .

قـال السـخاوي – رحمـه الله – فـي : " المقاصـد الحسـنة بينمـا

اشتهر من الأحاديث على الألسنة " : ل أقف عليه ومعناه صحيح أ . هـ .

ويريده قول الرسول ε – وهو في الحَزْوَرة من مكة – : " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت " .

ما يؤكده ويزيده وضوحاً وبياناً ما ثبت في صحيح البخاري من قوله ε : (إن أحداً جبل نحبه ويحبنا) . وهذا فيه إشارة واضحة وصريحة إلى حب المكان والوطن .

وسمع الأصمعي أعرابياً يقول : إذا أردت أن تعرف الرجل ، فانظر كيف تحننه إلى أوطانه ؟ وتشوقه إلى إخوانه ؟ وبكاؤه على ما مضى من زمانكم تحننه إلى أوطانه :" أي محبته لوطنه ، وشوقه إليه ، وتعلقه به ، ورغبته في ذكره والعودة !!

وروى الأصمعي أيضاً : قالت الهند : ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان : الإبل تحن إلى معاطنها أو أوطانها وإن كانت بعيدة العهد عنها ؛ والطير تحن إلى أوكارها وإن كان موضعها مجدباً ؛ والإنسان يحن إلى وطنه وإن كان غيره خيراً له منه .

قال السخاوي : لما اشتاق النبي ε إلى مكة – موضع مولده ونشأته – أنزل الله عليه قوله : { إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ

إِلَى مَعَادٍ } أي : إلى مكة .

وروى الخطابي في " غريب الحديث " عن الزهري قال : قدم أُصَيل الغفاري على النبي ε قبل أن يُضرب الحجاب . فقالت عائشة – رضي الله عنهما – : " كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد اخضرت جنباتها ، وابيضت بطحاؤها ، واغدق إذ خروها ، وكثر سلمها ... الحديث .

وفيه : فقال النبي ε : (حسبك . يا أصيل ، لا تجزي " .

وهو عند أبي موسى المَدِيني بوجه آخر ، فقال النبي ε : (واهاً يا أصيل تدع القلوب) .

هذه نصوص صريحة واضحة لا مجال للكلام فيها أو الأخذ والمزايدة عليها .

فـ " هذه عائشة – رضي الله عنها " تحن إلى موطنها وتسأل عن بلدها ومكان نشأتها ، ألا وهو مكة ، والنبي ε يقول : (حسبك يا أصيل لا تحزني) : (واهاً يا أصيل تدع القلوب) من تشوقه ε إلى مكة وحبه لها ؛ لأنها بلاد الله في أرض الله .

فصــل

إننـا عنـدما نتحدث عـن مقومـات المواطنـة الصـالحة علـى ضـوء تعاليم الإسلام ، ونطلب من أبنـاء هذا المجتمـع ، و [رجـالات] هذا البلـد ، أن يكونـوا مـواطنين صـالحين لا نـدعو إلـى عصـبية ولا إلـى قوميـة ولا إلـى وطنيـة ولا إلـى تراثيـة وترابيـة ومـا شـابه ذلـك ، إنمـا ندعو إلى ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ε .

[ولكن] الملاحظ أن فئاماً من أبنـاء هذا الـوطن ، وممـا يؤسـف لـه ويدعو إلى التساؤل – وهو موطن حزنٍ وألـم – أنـه يَضـعفِ فيهم ، ويقل الانتمـاء والـولاء والمحبـة لبلـده وأهلـه رعـاة ورعيـة ، إن لـم ينعدم ذلك ، فتجده يوالي دياراً بعيدة وأماكن متنوعة – وفيها مـا فيهـا من الخلل والنقص الذي نعلمه أو لا نعلمه – أما بلده فهو ضـعيف فـي معرفته لها ولأحوالها ، بل قد يسيء إليها قولاً وفعلاً .

ولاشك أن هذا نذير سوء ونتائجه ستكون عكسية علـى الشـخص نفسه وعلى أسرته ومجتمعه وبلده ، بل وأمته الإسـلامية ؛ لأن مـن لا خيـر فيـه لوطنـه لا خير فيـه لأمتـه ، ومـن لا خيـر فيـه لـبلاد التوحيد ومهبط الوحي ومنبع الرسالة فلا شك أنه يقول من القول مـا لا يـدرك

حقائقه ، ويعمل من الأعمال ما خلقّها من الدوافع والأهداف مالا يدركه .

ولعلنا نتساءل ؟! لماذا يوجد هذا في بعض أبناء هذا المجتمع ؟! ونحن نعرف أن أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها يكنون لهذا الوطن ، وهذه البلاد ، والدولة المباركة من المحبة الشيء الكثير ، بل إنهم يتشوقون ويتشوفون ويطمعون ويطمحون ويبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الوصول إليها ، والعيش فيها ، والإقامة بين أبنائها واكتساب رزقهم مما حباها الله به من النعم . إذاً ؟؟ لماذا يوجد هذا الخلل ؟! وهذا النقص فيمن ولد في هذه البلاد ، وانتسب إليها ، ورضع عقيدتها مع لبن أمه وتربى ، وترعرع ونشأ على شريعة الله وعلى أحكام الإسلام غضة طرية كما أنزلت على محمد ε ؟! .

الجواب يكمن في أمرين :

الأمر الأول : إبعاد أبناء المجتمع وخصوصاً الشباب عن المصدرين الأصليين والمنبعين الصافيين للشريعة الإسلامية : كتاب الله وسنة رسوله ε ، وما فهمه علماء السلف منهما . واللذين هما أصل كل محبة وولاء

وتعارف على البر والتقوى .

الأمر الثاني : غرس الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة في نفوس وأذهان بعض الشباب مما يجعلهم يقعون في الفساد والشر ، ويوُرَث لديهم الحقد والبغضاء والسوء لأنفسهم ووطنهم ؛ مع ما يصاحب ذلك من ضعف في التربية وقلة في التوجيه من أولياء الأمور مما يزيد الأمر سوءاً ، ويجعل الشباب يتتابعون ويقعون في هذه المخاطر وتلك المحذورات .

مقومات المواطنة الصالحة

[إن] المقومات الأصلية التي تجعل الإنسان مواطناً صالحاً ولبنة نافعة في هذه البلاد [– هي المقومات – التي] تستمد تعاليم الإسلام ولعل من أبرزها ما يأتي :

المقوم الأول : العمل بكتاب الله والأخذ به :

وهذا هو حال وطننا ، وديدن حكامنا ، يعتمدون على كتاب الله وينطلقون من أحكامه في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم الداخلية والخارجية ، يدرك ذلك ويفهمه من يريد الوصول إلى الحقيقة ويتفاعل عنه ويتناساه من في قلبه هوى وفي فكره لوث وشذوذ .

وهذا الكتاب هو : القرآن العظيم والسبع المثاني والذكر الحكيم ، هدى ونور ، وشفاه لما في الدور . يقول الله جل وعلا : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ، قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً } ، ويقول جل وعلا : { وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً } ، ويقول جل وعلا : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً } .

فيه من الأمثال والمواعظ والعبر والدروس والأوامر والنواهي ما لو أخذ به المسلم لسلم في عقله ودينه ونفسه وعرضه وجميع أحواله ، ولقاده إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً } .

ولذلك فإنه لا عز ولا نصر ولا تمكين ولا سيادة ولا ريادة إلا بالأخذ بأوامر هذا الكتاب وترك نواهيه . ونحن نعرف ونعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه : { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } ، ويقول جل وعلا : { إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } .

وقال تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ } .

وهذا الكتاب فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا وحكم ما بيننا ، من أخذ به هُدي ، ومن تركه ضل ، هو حبل الله المتين ونوره المبين

وصراطه المستقيم ، لا يخلق بكثرة الرد ولا يمله المؤمنون والأتقياء ، فيه بيان لكل شيء ، قال تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ } ، ويقول سبحانه : { وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } ، على أحد قولي المفسرين : إن الإمام المبين هو القرآن الكريم .

ويقول الله سبحانه وتعالى تتميماً لذلك وتكميلاً وبياناً : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } فليس كلنا يعلم ما في القرآن ويصل إلى ما دعا إليه من الحقائق والدقائق والفقه والمعارف والمقاصد ولكن الوصول إلى ذلك عن طريق أهل العلم .

والقرآن الكريم من خلال نصوص وعد رسول الله ε كما سبق بأن يده إلى أقدس بقاع الأرض ، وأحبا إلى الله وإلى رسوله صلى من عليه وهي مكة .

المقوم الثاني : اتباع السنة المطهرة :

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الدين الإسلامي ؛ وهذه البلاد ، بل هذا الوطن يقدم عليها وينهل من معينها مع كتاب الله جل وعلا .

والسنة النبوية جاءت شارحة ومفسرة ومبينة لما يحتاج إلى ذلك من القرآن الكريم ، وفيها ما يحتاجه الناس في دقيق أمورهم وجليلها

، كبيرها وصغيرها ، بل فيها ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم ومساكنهم ومناكحهم وتعاملاتهم ومعاملاتهم ، ومأكلهم ومشاربهم، بل وما يحتاجون إليه في علاقتهم بربهم ، وصلتهم بغيرهم من الخلق مسلمين أو غير مسلمين .

يقول الله جل وعلا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ } ، ويقول سبحانه : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } ، ويقول سبحانه مخاطباً أمهات المؤمنين : { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } .

يقول الشافعي والكسائي وقتادة وحمزة وغيرهم : المقصود بالحكمة هنا : هي السنة ؛ لأن ما يتلى في بيوت زوجات النبي ع إما قرآن وإما سنة .

ويقول ع : (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك " .

يقول أبو الدرداء – رضي الله عنه – : " صدق – والله – رسول الله لقد تركنا على البيضاء ليلها ونهارها سواء .

ويقول أبو ذر – رضي الله عنه – : " لقد توفى رسول الله ع وما طائر يطير بجناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً " .

ولذلك فإن الرسول ع أوصى صحابته بالأخذ بسنته فقال – ما

في حديث العرباص بن سارية – : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عضو عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " .

ويقول ε : (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله . ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ، ويقول ε كما في الحديث الصحيح : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله)، وفي السنن : " وسنتي " .

ولذلك هذه السنة العظيمة – كما أن الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه فقال : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } – فإن هذه السنة أيضاً حُفظت بما هيء الله لها من الرجال الأفذاذ ، العلماء العاملين منذ عهد الرسول ε إلى يومنا هذا . الذين نقحوا صحيحها من شقيمها ، وبينوا سليمها من ضعيفها وموضوعها .

وكثير من أحكام الإسلام قد تكون السنة النبوية المطهرة هي المصدر الأول لها كما في التحريم بالرضاعة ، وتحريم زواج المرأة عل عمتها وخالتها وغير ذلك ، والرسول ε ، كما هو معلوم ن نصوص الكتاب والسنة لا ينطق بالهوى قال تعال : { وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } .

وللشافعي وابن القيم – رحمهم الله – كلام عظيم نفيس يبين ما ذكرنا . فليراعه من أراد الاستزادة والاستفادة .

واتباع هذه السنة لا شك أنه من مقومات المواطنة الصالحة في هذا الوطن وغيره ، وما ذكرناه من النصوص السابقة تدل أيضاً على وجوب العناية بالوطن ومحبته والدفاع عنه ، ومن يقول غير ذلك فكلامه غير صحيح ومردود عليه .

إضافة إلى أن الرسول ε حث على المرابطة في الثغور لحماية الوطن المسلم ووقايته وصد الأعداء عنه .

المقوم الثالث : الأخذ عن العلماء والالتفاف حولهم والصدور عنهم فيما يتعلق بأمور الدنيا والدين :

يقول الله جل وعلا : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ } ، ويقول الله جل وعلا : { يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } فخص أولو العلم بالدرجات الزائدة على غيرهم ، والمذكورة في الآية .

وللرسول ε ذكر أن الحيتان تستنفر لطالب العلم في البحر وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " .

والعلماء هم للناس كالجبال للأرض يرسونهم ويثبتونهم ويبينون لهم الحق ويفرقون لهم بين الهدى والضلال ، والحق والباطل ، وسبيل الذين أنعم الله عليهم من سبيل المغضوب عليهم والضالين والضُّلال .

وأيضاً هم الذين عندهم الملكة والقدرة على تطبيق الأحكام على الحوادث والنوازل ، فما يحدث في هذا المجتمع أو ذاك ، وما ينزل وما يوجد من حوادث لا يمكن أن نصل إلى حكمه من أي شخص كان إلا من العلماء المحققين الربانيين الذين صفوا عقدياً ، وسلموا منهجياً ، وتأصلوا فكرياً ، الذين أمضوا أعمارهم وأوقاتهم في طاعة الله وتعلّم العلم والاستفادة والاستزادة من أجل نفع أنفسهم ونفع الناس . قال الإمام أحمد – رحمه الله – : طلب العلم أمره عظيم لمن صحت نيته ، قيل : يا أبا عبدالله وكيف يصحح الإنسان نيته ؟ قال : ينوي بتعلمه رفع الجهل عن نفسه وعن الناس .

وهذا هو الذي يعتمده علماؤنا ويسيرون عليه وينهجونه ، ولا شك أن الإنسان إذا إلتصق بهؤلاء العلماء ، وأخذ عنهم ، ورجع إليهم فيما يشكل عليه فإنهم سيجعلونه يسير على هدى وبصيرة في أمور دينه ودنياه ؛ لأنهم سيعطونه الحل الأكمل ، والجواب الأمثل والأتم في جميع ما يسألهم عنه أو يقولونه له . ولنحذر كل الحذر من

أولئك المثبطين عن العلماء والمرجفين للناس ، الذين اخترعوا أبشع الوسائل وأقبح الأساليب من أجل النيل من علماء هذه البلاد ووصفهم بأوصاف لا تليق . لماذا ؟! لأنهم يريدون تفريق مجتمعنا وتمزيقه ، وإيجاد الخلاف والشقاق بين أبنائه وهم لم يأتوا بهذا من فراغ ، إنما جاؤا به تدليساً ، وتربية من أعداء الإسلام ، يريدون أن يفصلوا المجتمع وخصوصاً الشباب عن هؤلاء العلماء ، وبالتالي يقعوا في الشك والريبة ويبحثون عن أصحاب الهوى والشبهة والشك فيسألونهم فيوقعونهم في أمور الفساد والإفساد والتخريب . وما الحوادث التي نسمع عنها وتطالعنا بها وسائل الإعلام إلا أكبر دليل على ذلك . ولنعلم أن غيبة العلماء والتكلم [في] أعراضهم والتحدث عنهم بالسوء من أكبر الكبائر ؛ لأن المغتاب لهم لا يتناول هذا العالم أو ذاك بشخصه أو بذاته إنما يتعدى الكلام على هذا العالم إلى ما يحمله من علوم الشريعة ومعارفها ، وبالتالي يهون لدى الناس ما يحملونه من شريعة الله ويستقلّون ذلك ، فلا يرجعون إليهم ولا يسألونهم ، وهذه مصيبة عظيمة . ألا تعلمون أن موت العالم الواحد يعد ثلمة وأمراً عظيماً في المجتمعات ؟! ، فما بالنا إذا أمتنا علماءنا وهم أحياء ، وأخذنا بأقوال أهل الشر والزيغ والشبهة والشهوة في مقابلة أن ننصرف عن أهل العلم والعلماء وألا نسير على طريقهم

ونهجهم .

المقوم الرابع : السمع والطاعة لولاة الأمر :

يقول الله جل وعلا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ }.

وأولوا الأمر هنا : هم الأمراء ونوابهم عند الأكثرين . وقيل : العلماء .

وفي حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : بايعنا رسول الله ε وكان مما أخذ علينا السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ما لم نرا كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان .

ويقول ε كما في الحديث الصحيح : (اسمع واطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) .

وقد ذكر ابن جماعة – رحمه الله – عشرة من الواجبات والحقوق التي تجب على الأمة للحاكم أو للأمير :

١ – السمع والطاعة في غير معصية الله سبحانه وتعالى لقوله جل وعلا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ }، ولقوله ε : (على المرء السمع والطاعة فيما

أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية) . فدل كتاب الله وسنة رسوله ε على وجوب السمع والطاعة في غير المعصية فيبقى ما سوى ذلك على الامتثال .

٢ – بذل النصح لولي الأمر ظاهراً وباطناً ، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم ابن أوس الداري – رضي الله عنه – قال : قال الرسول ε : (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله [ولكتابه] ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .
فخص أئمة المسلمين فدل على عظيم حقهم .

٣ – نصرتهم في الباطن والظاهر ببذل أقصى المجهود في ذلك ، لأن في ذلك نصرة للمسلمين ورعاً للمعتدين .

٤ – تقدير ولي الأمر وإعطاؤه ما منحه الله إياه من الإجلال والإكرام والإنمطا ولاة الأمر ويسمعون ويطيعون لهم ويجيبون دعوتهم وهم على زهدهم وتقواهم ، ولم يكونوا يطمعون فيما فيما في أيديهم من الدنيا ، أما أولئك الذين يدّعون الزهد ويتناولون ولاة الأمر بالسقة وما شابه ذلك ففعلهم هذا كما قال ابن جماعة : خلاف السنة .

٥ – إيقاظه عند غفلته وتنبيهه عند هفوته ؛ لأن في ذلك تعاون على

البر والتقوى ؛ ولأن ولي الأمر بشر يخطئ ويصيب .

٦ – تحذيره من عدو يرومه أو حاسد يقصده بسوء أو خارجي يريد الخروج عليه وهذا من أعظم حقوقه وأوجبها .

٧ – إعلامه بسير عماله الذين هو مشغول الذمة بسببهم لننظر لنفسه بإبراء ذمته .

٨ – التعاون معه على حمل الأمانة وأدائها ، لأنها أمانة عظيمة يقول الله جل وعلا : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } وخير من أُعين على الخير هم ولاة الأمر .

٩ – رد القلوب النافرة إليه ، وجمع الناس عليه ؛ لأن في ذلك تقوية لصف المسلمين وردعاً لمن خالفهم وشق عصا طاعتهم .

١٠– الذب عنه بالأقوال والأفعال ، باللسان والسنان والأهل والمال ، ظاهراً وباطناً وسراً وعلانية .

فهذه الحقوق إذا أذيباها وعملت بها وذلك بأن ألسنتنا ، ونحفظ جوارحنا من الإساءة إلى ولاة الأمور ، سلم لنا دنينا ودنيانا ؛ لأنه من المعلوم أن غيبة ولاة الأمور ليست غيبة لهم بأشخاصهم وإنما هي تعرض وتناول لمسؤولياتهم ، وبالتالي إذا استمرأ الناس هذا الشيء وتهاونوا فيه ضعف سلطان الولاة وانتشر الفساد وصال

وجال أهل الشر والعناد، قال شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – : إن غيبة ولاة الأمر من أكبر الكبائر ؛ لأنها لا تعنيهم ذاتاً وإنما تتعداهم إلى أعمالهم ومسؤولياتهم .

فنقول إن هذه الحقوق التي ذكرناها مع عد غيبتهم ، الكف عنهم هي من أبرز مقومات المواطنة الصالحة في الإسلام .

ولنعلم أن السلف الصالح ضربوا أروع الأمثلة وانصع الحجج والبراهين في رأب الصدع والإلتفاف حول ولاة الأمر ، وتقديرهم ، وإجلالهم ، والدعاء لهم ، ومن سبر التأريخ من عهد الصحابة إلى يومنا هذا رأى لك واضحاً للعيان يُلمس واقعاً حياً في سير أولئك الأعلام ؛ فهذا الإمام أحمد – رحمه الله – إمام أهل السنة وقامع البدعة ، والفضيل بن عياض أحد الأئمة الثقات وغيرهم يقولون : لو كان لنا دعوة مستجابة لصرفناها للسلطان .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عندما يخاطب أحد ولاة الأمر في زمانه يثني عليه ويمتدحه بما قام به من أعمال ، ويدعو له .

إننا في هذا الزمن ، ولكي نكوم مواطنين صالحين عاملين نافعين يجب علينا أن نلتف حول ولاة أمرنا ، وأن نعمل معهم على ما يحقق مصالحنا ، ولذلك فإن الرسول ε شدد في هذا الأمر

فقال – كما في الحديث الصحيح – : (من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائناً من كان) وفي رواية : (فاقتلوه) .

وتكلم شيخ الإسلام – رحمه الله – على هذا الحديث وأمثاله عندما بيّن حال الخوارج وطرقهم ، وما يعتمدونه من الأفكار المنحرفة الضالة ، وما يسيرون عليه من الأمور التي أوقعتهم وأوقعت غيرهم في المهالك شدّد في هذا الأمر فقال : يجب على المسلمين جميعاً عامة وعلماء وولاة أمر أن يقفوا في وجه ن يريد أن يفرق الأمة ولو بالقتل والقتال .

ولذلك فإن العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره كانوا في مقدمة المدافعين عن أوطانهم المسلمة المجاهدين في سبيل حمايتها ، كما كانوا يوجهون الناس ويحثونهم على ذلك وعلى فضل المرابطة في الثغور الإسلامية .

المقوم الخامس : البعد عن الخلاف والاختلاف ، والفرقة والافتراق :

فالله سبحانه وتعالى بعث رسوله ε عندما بعثه والعرب في جاهلية جهلاء وأحوال عمياء ، القوي يأكل الضعيف ، والغني يسيطر على الفقير ، والأمور تسير تبعاً للأقوى والغالب ، والنساء

معدودة من سقط المتاع فأخرجهم الله سبحانه وتعالى به من الظلمات إلى النور يقول الله جل وعلا : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ }.

أخرجهم الله من الظلمات إلى النور ، وجمع به كلمتهم ، ولمّ به شتاتهم وتفرقهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا } ، ويقول جل وعلا : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } . وقد أكد الرسول ε في سنته على هذا الائتلاف والاتفاق والأخوة ، فقال ε : (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعلى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ، وقال ε : (المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه) ، ونهى الرسول ε عن أن يحقر المسلم أخاه ، وحثه على أن يتعامل معه تعاملاً فذا فريداً ، وهو أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وأينا يفعل ذلك ؟!

وأينا يحقق ذلك ؟!

من منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟!

نسأل الله العلي القدير أن نكون كذلك .

ولكي نصل إلى هذا المبدأ الشرعي والمنهج النبوي علينا أن نحركه دائماً في عقولنا وأفكارنا وقلوبنا . ولعل فيما يأتي من المقومات شيء يتمم ذلك :

خلاصة القول :

أن من أهم مقومات المواطنة الصالحة البعد عن الخلاف والاختلاف والفرقة والافتراق ، وأن يسعى الإنسانية إلى هذه المحذورات ، وأن يكون دائماً يحبا الاتفاق مع إخوانه ، والتعامل معهم وفق ما أمر الله به ورسوله ε .

والله سبحانه وتعالى حذرنا أن نكون مثل الذين تفرقوا في دينهم . فقال : { وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ، مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.

ولهذا لما اختلف الصحابة – رضوان الله عليهم – في القدر كما في الحديث الصحيح ، وسمع الرسول ε وهو في حجراته كلامهم واختلافهم خرج عليهم مغضباً كأنما فقىء في وجهه الرمان .

ولذلك فإن الخلاف والفرقة من الأمور الخطيرة المسببة للشر والفتنة أخطر ، وهو مرض عضال يسعى الأعداء بكل ما أوتوا من

قوة أن يدخلوه بين المسلمين بصفة عامة ، وبين أبناء هذا المجتمع بصفة خاصة ، بينهم وبين بعض وبينهم وبين علمائهم وولاة أمرهم ، فلنحذر ذلك ولنقف صفاً واحداً متراصاً ، وبنياناً قوياً ، وجبلاً صلداً في مواجهة هذه الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة ، والترهات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لكي نكون مواطنين صالحين نافعين محققين لما جاءت به أحكام الشريعة ، منتفعين بها ، عاملين بمبادئها .

المقوم السادس : الحفاظ على أمن هذا البلد وأمانه :

إن الأمن والأمان مطلب عظيم ومبدأ تسعى إلى تحقيقه الأمم منذ خُلقت الدنيا إلى يومنا هذا ، وتبذل في سبيله الطاقات والمقدرات المادية والمعنوية ولكنها قد لا تصل إليه ، وهذه البلاد وصلت إليه ولكن بماذا ؟

لقد وصلت إليه بمفهوم قول الله جل وعلا : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } .

والأمن هنا يشمل : الأمن المطلق في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيأمن الإنسان في حياته الدنيا على نفسه وعقله وفكره وماله وعرضه، وأيضاً في الآخرة يأمن من العذاب الذي يلحق الكفار

والعاصـــين .

ولو تأملنا في قصة إبراهيم عليه السلام عندما ترك إسماعيل وأمه هاجراً عند البيت الحرام ماذا قال ؟ : { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ } .فقدّم إبراهيم عليه السلام طلب الأمن قبل طلب الرزق . لماذا ؟ .

ولأهمية الأمن ، وكونه أساساً للحياة الطيبه ، ومؤدياً إلى الحصول على الرزق ، فمن المتصور أن يعيش الإنسان فقيراً قليل ذات اليد إذا كان آمناً ، لكن من غير المقصود أن يعيش الإنسان خائفاً مفتوتاً وإن كانت عنده أموال الدنيا .

والرسول ε يقول في هذا الشأن :

(من أصبح معاً في بدنه واجداً قوت يومه آمناً في سربه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " وبعضنا ، بل قد تقول كلنا لديه ولله الحمد من القوت ما يكفيه الشهور والسنوات ، وهذه نعمة عظيمة يجب علينا شكرها .

وقف رجل في أحد الدول الأوروبية . وقال : إننا لا نطالب حكوماتنا بأن تبني لنا المساكن أو تغدق علينا الأموال والرواتب أو تهئ لنا الخدمات وإنما نطالبها بأن تؤمن لنا وتحقق لنا أمناً كأمن السعودية ، الحق ما شهدت به الأعداء .

إن هذا الأمن الذي يضرب أطنابه في هذه البلاد المباركة لم يأت من فراغ ، ولم يكن وليد الصدفة ، إنما هو نتاج ما يزيد على قرنين من الجهاد والكفاح ، فإنه عندما التقى الإمام محمد بن سعود – رحمه الله – والإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – وتعاهدا على إعلاء كلمة الله ونصرة دينه وتطبيق شرعه . ثم بعد مجيء المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن – رحمه الله – وبذله الغالي والنفيس من أجل توحيد هذه الجزيرة ولمّ شتاتها وجمع كلمتها وتسييرها على التوحيد الخالص تحقق الأمن ووجد واقعاً حياً ملموساً ، يتفيئ ظلاله الناس جميعاً من مواطنين ومقيمين .

بل إن هذا الأمن ظلاله وارفه حتى على المسلمين وغيرهم في خارج هذه البلاد وذلك عن طريق ، والأعمال الخيرة التي يبذلها أبناء هذا الوطن حكاماً ومحكومين ، فهل لنا بعد ذلك أن نقف مكتوفي الأيدي ولا نحافظ على أمننا ؟! .

إن كل فرد مهما كان حجمه ومسؤوليته ، كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى عليه واجب إلزامي في الحفاظ على أمن هذه البلاد وأمانها وما تعيشه من طمأنينه واستقرار ورغد في العيش ، هل نريد لا قدر الله أن نصبح مثل من حولنا ؟!

انظروا إلى الأمم التي حددوها مع حدودنا وهم جيران لنا

وغيرهم من بعد أو قرب ؛ انظروا ماذا حدث لهم !

لماذا ؟!

الجواب : لأنهم لم يحققوا توحيد الله ، ولم يلتزموا بشريعة الله ولم ينفذوا حدود الله وأحكامهه ، ولم يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ε ، ولم يجمعوا للمتهم على الحق ، ولم يجتمعوا على الخير ، ولم يلتفوا حول ولاة أمورهم وعلمائهم ، ونحن إذا لم ندرك ذلك ونعلمه علم اليقين ونجعله نصب أعيننا وعلى بالنا في كل وقت فإنه ليس بيننا وبين الله نسب ، إنما بيننا وبينه كتابه وسنة نبيه ε ، وتحقيق توحيده . إن عملنا بهما ، وأخذنا بالتوحيد الخالص الذي حققته هذه البلاد وسارت عليه وستسير عليه إن شاء الله ، فإننا سنظل على ما نحن عليه من أمن وطمأنينة ، وإن كان غير ذلك فلا نلومن إلا أنفسنا ، وكما يجب علينا أيضاً أن نردع المعتدين ، وأن نقف موقفاً صارماً في وجه المثبطين وفي مقابلة المرجفين ، وأن نجاهد الأعداء والمفسدين إذا أرادوا الإخلال بأمن وأمان وطمأنينه هذه البلاد. لوحصل لهذه البلاد ما لا تحمد عقباه مَنْ للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ من يؤوي مشردهم ، ويعين محتاجهم ويؤوي مضطهدهم ، ويقف مع مسلمهم فوق كل أرض وتحت كل سماء ؟!

فالمسألة ليست بالهينة ، ولا يجب أن نأخذها بالتهاون والتكاسل؛

فأنت وأنا والعامل والموظف والمدرس والأستاذ والمربي والمسؤول كبر أو صغر ، والمهني في منجرته ودكانه وفلاحته ومصنعه وفي أي مكان في هـــذه المملكة عليه مسؤولية وله أهمية أثر واضح في تحقيق المطلـــوب .

ولو أننا تعاونا على الخير واتفقنا عليه وعملنا على كبح جماح أولئك الذين يريدون الشر والفساد والإفساد فو الله لن يغفلوا ، ولن يجدوا مدخلاً بيننا .

المقوم السابع : المحافظة على مكتسبات هذا الوطن :

إن كل ما يوجد من منشآت ومؤسسات تعليمية وتربوية ودعوية واقتصادية واجتماعية وخدماتية على مختلف تخصصاتها وتنوع مستوياتها إنما وجدت من أجل خدمة المواطن والمقيم في هذه البلاد ، وجُهزت بأحدث الأجهزة وأعلى التقنيات .

إنه يوجد في هذه البلاد من العمران والمؤسسات ما لا يوجد في بعض بلدان العلام المتقدمة ؟! .

الجواب :

لأن : أهل هذه البلاد يستحقون ذلك .

ولكن ما واجبنا تجاهها لنكون مواطني صالحين ؟

الجواب :

أن نحافظ عليها كما يحافظ الواحد منا على بيته وولده وحاجته الخاصة ، ونسلمها لمن يأتي بعدنا كما كانت بدون أي نقص ، وإن لم نفعل ذلك فإن ذلك سيكون خللاً في تصرفنا وفي أعمالنا وفي آدائنا للأمانة ، وسيدخل بيننا من أجل القضاء على هذه المكتسبات وتدميرها أناس كثر والواقع يشهد على ذلك .

المقوم الثامن : التوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال ، والتعامل بالحسنى مع جميع خلق الله مسلمين أو غير مسلمين :

فالإسلام دين وسطية واعتدال في العبادات والطاعات والأحكام بل وفي الحركات والسكنات ، وهو يدعو إلى الموضوعية والاتزان في الأقوال والأفعال ، والنظرات والتصرفات وجميع الأحوال ، قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }(١) .

ومعنى الوسط : العدل الخيار (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : (١٤٣) .

(٢) انظر : جامع البيان : (٢/٧ ، ٨) ، والجامع لأحكام القرآن : (٢/١٥٣، ١٥٤) ، وتفسير القرآن العظيم : (١/١٩٠) ، وفتح الباري : (١٣/٦١٣) .

فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ε : (يجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يارب، فيسأله أمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير ؟ فيقول : من شهودك ؟ فيقول محمد وأمته ، فيجاء بكم فتشهدون ، ثم قرأ رسول الله ε : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً }[(١)] قال : عدلاً : { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }[(٢)])[(٣)].

وقد كان الرسول المصطفى ε قدوة يتاسى به ، ومثالاً يجتذى فيه لكل ناشد حق وخير وعدل ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرها[(٤)]، وحث أمته على الاعتدال والاقتصاد في جميع الأمور حتى في المأكل والمشرب والمنام والمنكح ، وقال : (من رغب عن سنتي فليس[(٥)]

(١) سورة البقرة ، من الآية : (١٤٣) .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : (١٤٣) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } (٢٦/٦) .
وفي كتاب الاعتصام ، باب قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } (١٣٢/٦) .
(٤) سبق تخريجه ، ص : (٨٣) .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح :

مـــــــــني) (١)، ويقـــــــــــول أيضـــــــــــــاً : (

(٢/٧) ، رقم : (٥٠٦٣) .
ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه : (١٠٢٠/٢) ، رقم : (١٤٠١) .

(١) قال ابن حجر – رحمه الله – في الفتح : (٨٢٧/٩) : " المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره ، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني ، ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية ، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى ، وقد عابهم بأنهم ما وفوه مما التزموه ، وطريقة النبي ε الحنيفية السمحة ، فيفكر ليتقوى على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام ، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل ... وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم ، وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز من النساء .. وفيه تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم ، وبيان الأحكام للمكلفين وإزالة الشبهة عن المجتهدين ، وأن المباحثات قد تنقلب بالقصد إلى الكراهة والاستحباب .
وقال الطبري : فيه الرد على منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس ، وإيثار غليظ الثياب وخشن المأكل .
قال عياض : هذا مما اختلف فيه السلف ، فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري ، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى : { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا} . قال : والحق أن هذه الآية في الكفار ، وقد أخذ النبي ε بالأمرين .
قلت : لا يدل ذلك لأحد الفريقين ، إن كان المراد المداومة على إحدى الصفتين ، والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر ، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات ؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحظور ، كما أن منع تناول ذلك أحياناً يفضي إلى التنطع المنهي عنه ، ويرد عليه صريح قوله تعالى : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ }.

القصـــــــد القصـــــــد تبلغـــــوا)[١]، ورد عـــــلى عثمان بن مضعون التبتل[٢]، ونـدبهم إلـى التيسير والتبشير والتطـاوع وحـذرهم من خلافها فقال لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل – رضـي الله عنهما – عندما بعثهما إلـى اليمن : (يسـرا ولا تعسـرا وبشـرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا)[٣].

وقال الحسن في تفسير قوله تعالى : { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً }[٤] لن يغلب عسرٌ يسرين[٥].

ومعلوم من تاريخ الأمم وأحوالها أن سبب مخالفتها لمنهاج النبوة

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها ، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً وترك التنقل يفضي إلى إيثار البطالة ، وعدم النشاط إلى العبادة ، وخير الأمور الوسط " .

(١) أخرجـه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، وقول النبي ع: (أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة) : (٨٢/١) ، رقم : (٣٨) .
وانظر : اللفظ الآخر للحديث مع تخريجه ، ص : (٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من الحضاء والتبتل رقم : (٥٠٧٣ ، ٥٠٧٤) .
ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليـــه ووجد مؤنـــة واشتغـــال من عجز عن المؤونة بالصيام : (١٠٢٠/٢) ، رقم : (١٤٠٢) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة الشرح ، الآيتان : (٥ ، ٦) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم : (٤٣١/٨، ٤٣٢) .

وقوعها في الزيادة عليه ، أو النقصان فيه ، وعدم ترسمها الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقد وقعت هذه الأمة بمثل ما وقع به من كان قبلهم ، فظهر عبر قرونها الماضية وإلى وقتنا الحاضر ، ولكن بشكل أكبر وصورة أعق المتشددون الغالون في دين الله ، وفي المقابل الجافون المتساهلون والمبتعدون عن اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، ولذلك جاء في الأثر الحسن : " يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال البطلين ، وتأويل الجاهلين "(١) .

---

(١) أخرجه ابن حبان في الثقات : (١٠/٤) ، رقم (١٦٠٧) .
وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : (١٧/٢) .
والبيهقي في السنن الكبرى : (٢٠٩/٧) .
وابن عدي في الكامل في الضعفاء : (٢٩/٣) .
وابن حجر في الإصابة : (٢٢٥/١) ، في ترجمة : إبراهيم بن عبدالرحمن القدري .
وفي لسان الميزان له أيضاً : (٧٧/١) .
واستشهد به ابن مفلح في الآداب الشرعية : (٥٧/٢) ، ونقله عن مهنا الذي نقل تصحيح الإمام أحمد له .
وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : (١٦٣/١) :" الوجه السادس والثلاثون بعد لمائة وهو ما روي عن النبي ε من وجوه متعددة ، ثم ساق الحديث ، وذكر الوجوه ، ونقل كلام الإمام أحمد – رحمه الله – الذي أورده الخلال في كتاب العلل ، حيث قال : قال مهنا سألت أحمد عن حديث معاد بن رفاعة عن إبراهيم

فتحريف الغالين : يشير إلى التعصب والتشدد .

وانتحال المبطلين : يشير إلى تحسين الظن بالعقل في الشرعيات ، ومتابعة الهوى .

وتأويل الجاهلين : أي الجهل بمصادر الأحكام ، وبأساليب فهمها من مصادرها .

فالناظر في الأدلة قد يكون ممن تمتلكهم الأهواء ، فتدفعه إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ، ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ، ويجادل به ، وهذا في الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل الأدلة عليه ، ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة ، ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن سراط الله المستقيم ، قال تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ }(١)، وقال سبحانه : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ }(٢).

عن عبدالرحمن القدري ، فقلت لأحمد : كأنه موضوع قال : لا ، هو صحيح . فقلت : ممن سمعته أنت ، قال : من غير واحد " .

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية : (٥٧/٢) : " واعتنى ابن عبدالبر بهذا الحديث وحاول تصحيحه ، واحتج به في أن كلّ من حمل العلم فهو عدل والله أعلم " .

(١) سورة القصص ، من الآية : (٥٠) .

(٢) سورة الجاثية ، من الآية : (٢٣) .

ومعلـــوم أن متابعـــة الهـــوى : تكتسح الأديـــان ، وتقتل كل خير ، وتوقع في الشرور ، وتورث الشقاق والخلاف والاختلاف ، والافــــتراق والنزاع ، والعداوة والبغضاء ، والحقد وإثارة الفتن ، والهرج والمرج(١) .

والابتداع بالهوى أشد أنواع الابتداع إثما عند الله ، وأعظم جرم على الحق ، فكم حرّف الهوى من شرائع ، وبدَّل من ديانات ، وأوقع الإنسان في ظلال مبين ، وإن الغلو في الدين نوع من ذلك ، وغير خارج عنه ، ولذلك ورد النهي في القرآن الكريم عنه ، وجاء الخطاب في ذلك موجهاً إلى أهل الكتاب بشكل خاص قال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}(٢) .

وقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ

(١) انظر : الاعتصام للشاطبي : (٢/٧٣٧– ٧٤٠) ، وأدب الدين والدنيا ، ص : (٢٣– ٣٢) .
(٢) سورة النساء ، الآية : (١٧١) .

وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }(١) .

وقال ابن كثير – رحمه الله – : " ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير من النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه ، بل غلوا في أتباعه وأشياعه ، ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة ، واتبعوهم في كل ما قالوا سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ظلالاً أو إرشاداً ، أو صحيحاً أو كذباً ، ولهذا قال تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ }(٢) .

وهاتان الآيتان وإن تعلقتا بأهل الكتاب ابتداءً ، فإن المراد منهما موعظة هذه الأمة ؛ لتتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة(٣) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : (٧٧) .
(٢) سورة التوبة ، من الآية : (٣١) .
(٣) تفسير القرآن العظيم : (٤٧٧/٢) .
ويقول ابن كثير في تفسيره أيضاً : (١٥٩/٣) :" أي : لا تجاوزن الحد في اتباع الحق ، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه ، فتكونوا كالذين ضلوا

وفـي سـنة الرسـول ε أحاديـث كثيـرة ومتـوافرة فيهـا نهيـه ε عـن الغلـو ، وتحـذيره مـن سـلوك طـرق السـابقين بـالغلو فـي الـدين ، فعـن عبدالله بـن عبـاس – رضـي الله عنهمـا – قـال : قـال لـي رسـول الله ε غـداة جمـع : " خلـو ألقـط لـي الحصـى " ، فلقطـت لـه حصـيات مـن حصـى الخـذف ، فلمـا وضـعهن فـي يـده قـال : " نعـم بأمثـال هـؤلاء وإيـاكم والغلـو فـي الـدين ، إنمـا أهلـك مـن كـان قبلكم الغلـو فـي الـدين "(١) .

قال شيخ الإسلام – رحمـه الله – : " وهذا عـام فـي جميـع أنـواع الغلو في الاعتقادات والأعمال ، وسبب هذا اللفظ العـام رمـيُ الجمـار ، وهـو داخـل فيـه ، مثـل : الرمـي بالحجـارة بنـاءً علـى أنهـا أبلـغ مـن الصغار ، ثم علّله بما يقضي مجانبه هديهم ، أي هدي من كان قبلنا ؛ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به ، وأن المشارك لهم في بعض هديهم

قبلكم وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال ، إلى طريق الغواية والضلال .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (٢١٥/١) .
والنسائي في سننه ، كتاب الحج ، باب التقاط الحصى : (٢٦٨/٥) .
وابن ماجد في سننه ، كتاب المناسك ، بـاب قدر حصـى الرمـي : (١٠٠٨/٢) ، رقم : (٣٠٢٩) .
والحـاكم فـي المسـتدرك (٤٤٦/١) ، وصـححه علـى شـرط الشـيخين ، ووافقـه الذهبي في تلخيص المستدرك : (٤٤٦/١) .

يخاف عليه من الهلاك "[١].

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ε : (هلك المتنطعون) [٢] قالها ثلاثاً .

قال النووي : " هلك المتنطعون ، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم "[٣].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ε أن يقول : (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم ، فإن قومكم شددوا فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) [٤][٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص : (٢٧٥) .
وانظر : الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرون ، ص : (٦٧ ، ٦٨) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون : (٢٠٥٥/٤) ، رقم : (٢٦٧٠) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : (٢٢٠/١٦) .
انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر : (٩٩/٢) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب الحسد : (٢٧٦/٤) ، رقم : (٤٩٠٤) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٢٥٦/٦) :" رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة " .

(٥) انظر : كتاب الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، ص : (٣٧ – ٦٩) .

المقوم العاشر : رعاية المصالح والأمر بالإصلاح والنهي عن الفساد والإفساد:

المستقرئ للشريعة في مصادرها ومواردها الدالة على مقاصدها يتبين له بجلاء أن الشريعة مبناها على رعاية المصالح ، وحفظ نظام الأمة ، واستدامة صلاحه لصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان ، ويشمل صلاحه صلاح عقله ، وصلاح عمله ، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه ، قال الله سبحانه عن شعيب – عليه السلام – : { إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ }[١]، فدل على أن الله بإرادة الإصلاح بمنتهى الاستطاعة[٢].

وقال سبحانه عن قول موسى لأخيه هارون : { وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }[٣].

والأمر بالصلاح والنهي عن الفساد ورد كثيراً في القرآن والسنة ، قال سبحانه عن شعيب – عليه السلام – : { وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا }[٤].

---

(١) سورة هود ، من الآية : (٨٨) .
(٢) انظر : مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد بن عاشور ، ص : (٦٣) .
(٣) سورة الأعراف ، من الآية : (١٤٢) .
(٤) سورة الأعراف ، من الآية : (٨٥) .

وقال سبحانه مخاطباً هذه الأمة : { وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا }[١]، وقال عن صالح – عليه السلام – : { وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[٢]، وقال سبحانه : { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ }[٣]، وقال سبحانه : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ }[٤].

وفيما يتعلق بالصلاح : تكرر ذكر الصلاح ، والثناء على الصالحين والأمر بعمل الصالحات[٥]، وفي الآيات السابقة شيء من ذلك . والصلاح المأمور به يشمل صلاح العقيدة ، وصلاح العمل ، وصلاح الظاهر ، وصلاح الباطن ، ويشمل صلاح الناس في أحوالهم وشؤونهم كما يشير إليه قوله تعالى : { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ }[٦] والفساد بصدد ذلك ، فيشمل إفساد ما هو موجود في الأرض[٧].

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : (٥٦) .
(٢) سورة الأعراف ، من الآية : (٧٤) .
(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٠٥) .
(٤) سورة محمد ، الآيتان : (٢٢، ٢٣) .
(٥) انظر : الاستقامة لابن تيمية : (٢/٢١١) .
(٦) سورة البقرة ، من الآية : (٢٠٥) .
(٧) انظر : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص : (٦٤) .

فتقرر بهذا أن الصلاح معتبر مقصود في كل التكاليف والأحكام ، ولهذا كان للمصالح أثر كبير في استنباط الأحكام والترجيح فيها ، وقسمها العلماء باعتبار آثارها في قيام أمر الأمة ودينها إلى ثلاثة أقسام : ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية .

والضرورية هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[١] .

وحفظها يكون بأمرين :

أحدهما : ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود .

والثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع منها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[٢] .

ومجموع الضروريات خمسة ، وهي : حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، وقد قالوا : إنها مراعاة في كل ملة[٣] .

---

(١) انظر : الموافقات للشاطبي : (٨/٢) ، ومقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ، ص : (٧٩) .

(٢) الموافقات : (٨/٢) .

(٣) انظر ك الموافقات : (١٠/٢) ، والمستصفى للغزالي : (٢٨٧/١) ، وروضة

وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات ، فهي أقوى المراتب في المصالح ، وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل ، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق[١] .

الناظر لابن قدامة : (٤١٤/١) .

(١) المستصفى للغزالي : (٢٨٧/١، ٢٨٨) .

المقوم الحادي عشر : العـدل :

الإسـلام شـريعة الله سـبحانه ، وحكمـه بـين عبـاده ، أنزلـه الله ورضيه لعباده فلا يسخطه أبداً ، وأتمـه فلا ينقصـه أبداً قال تعالى : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[١] .

وإذا كانت الشريعة صادرة منه فهي لا شك قائمة على العدل مبنية عليه ن يتمثل العدل في جميع الأحكام والأخلاق والآداب التي جاء بها ؛ لأن الله سبحانه عدل قائم بالقسط :" اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله عدل قائم بالقسط ، لا يظلم شيئاً شيء ، بل هو منزه عن الظلم "[٢] .

" والعدل وضع كل شيء في موضعه ، فهو سبحانه حكم عدل ، لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها ، لا يضع شيئاً في غير موضعه ، بل إنما يضعه في موضع يناسبه ، وتقتضيه الحكمة والعدل، فلا يفرق بين متماثلين ، ولا يسوي بين مختلفين ، ولا

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : (٣) .
(٢) تفسير آيات أشكلت لشيخ الإسلام : (٤٤٤/١) ، وجامع الرسائل ، المجموعة الأولى : (١٢١/١) .

يعاقب إلا من يستحق العقوبة ، فيضعها موضعها ، لما في ذلك من الحكمة والعدل ، وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم البتة ، قال تعالى : {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }(١)، وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ }(٢)(٣).

ولذا فإنه سبحانه أمر بالعدل والقسط في آيات متنوعة متعددة ، قال الله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }(٤).

فأمر بالعدل والقسط في جميع المعاملات ، وأداء الحقوق المتنوعة الواقعة بين الناس ، ونهى عن الظلم في الدماء والأعراض والحقوق كلها ، وهل يمكن صلاح هذه الأمور إلا بالعدل والقسط الذي هو روح الدين وقوامه(٥).

وقال تعالى : { لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

---

(١) سورة القلم ، الآيتان : (٣٥، ٣٦) .
(٢) سورة ص ، الآية : (٢٨) .
(٣) تفسير آيات أشكلت : (٤٤٧/١– ٤٤٨) ، وجامع الرسائل المجموعة الأولى : (١٢٣/١ – ١٢٤) .
(٤) سورة النحل ، الآية : (٩٠) .
(٥) سورة النحل ، الآية : (٩٠) .

يُخْرِجُـوكُمْ مِـنْ دِيَـارِكُمْ أَنْ تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَـيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِطِينَ }(١) .

فـإن الشـريعة الإسـلامية جـاءت كاملـة شـاملة تامـة صـالحة ومصـلحة لكـل زمـان ومكـان وأمـة ، مراعيـة للمصـالح والمفاسـد ، متوافقة مع فطر البشر وطبائعهم ، وتقلبات أحوالهم أفراداً وجماعات ، ضـابطة لتصـرفاتهم وأقـوالهم وأفعـالهم بوسـطية واعتـدال وموضـوعية واتـزان ، ممـا لـو نـهجـه الإنسـان وسـار عليـه فـي إقوالـه وأفعاله لتحق لـه الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

ولقد تـوفى رسـول الله ε ومـا طـائر يقلـب جناحيـه فـي السـماء إلا ذكر للأمة منه علماً ، وعلمهم كل شيء ، حتى آداب التخلي والجماع ، والنـوم والقيـام والقعود ، والأكـل والشـرب ، والركـوب والنـزول ، والسـفر والإقامـة ، والصـمت والكـلام ، والعزلـة والخلطـة ، والغنـى والفقر ، والصحة والمرض ، وجميع أحكام الحياة والموت .

كـذلك بيَّن لهـم مـن مكايد إبليس وطرقـه التـي يـأتيهم منهـا ، ومـا يتحرزون به من كيده ومكره ، وما يدفعون به شرَّه ما لا مزيد عليـه، إضـافة إلـى مـا عـرفهم مـن أحـوال نفوسـهم وأوصـافها ودسائسـها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم : (١٧٢٧) ، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

وكمائنـــــا، مـا لا حاجـة لهـم معـه إلـى سـواه ، وعلَّمهـم مـن أمـور معايشتهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة ، وبالجملــة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه .

ورغم ذلك كله ، فإن هناك من يتجاوز أو يخطئ بقصد أو من غير قصد ، فيقع في المحذور قولاً أو عملاً دون مراعاة للعواقب ، ومعرفة بالمخاطر ، وإلمام بالنتائج ، فيطلق لنفسه العنان ، وللسانه الكلام ، فيشيع ويذيع ، ويغتاب وينم ، ويفسد ويؤلب ، غير عابئ بما يترتب على منطقه هذا من الشرور والمفاسد والآثام المؤثرة عليه شخصياً ، وعلى مجتمعه وأمته ، من إيغار للصدور ، وإثارة للبغضاء ، وتوريث للحقد والحسد ، وإذكاء للخلاف والاختلاف ، وتوسيع لهوة الفرقة والافتراق ، مما يفرح به الأعداء ، ويسعد من جرائه الأشقياء ، ويتلقَّفه كل منافق أفَّاك ، فيتلذذ بآثاره ، ويسعد بأخباره .

وإن هذه الشرور ودفائن الصدور لو صدت من الأعداء الظاهرين لم تستغرب ؛ لأن هذا ديدنهم ، وذاك هدفهم وغايتهم في كل حال ومآل ، ولكن الذي يدهش الإنسان ، ويجعله يصاب بالذهول والحزن والألم أن يتبناها ويتولاها ويرعاها مع ما تحمله من دعوات

وشبهات أولئك القشوريين والسطحيين من أصحاب الشهوات بعض المنتسبين إلى الإسلام ، فيرفعون عقائرهم بالدعوة إلى كل قول ذميم ، وكلام خطير ومثير دون وازع أو رادع ، وقد يبذلون من الجهد والوقت من أجل نشرها وترويجها وإقناع الناس بها أكثر من غيرهم ؛ مما يزيد الأمر سوءاً وخطورةً وتلبيساً ؛ لأن هؤلاء من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون إلى ديننا ، وهنا يدس السم في السمن والعسل ، ويلتبس الحق بالباطل ، والخير بالشر ، والهدى بالضلال ، والسنة بالبدعة ، ويلتبس الأخ الصديق بالعدو والمنافق ، والأصول بالفروع ، والعلم بالفكر ، والمبادئ بالمذاهب ، فيصبح الحليم حيرانّ ، والبصير مذهولاً ، والقوي ضعيفاً ، وتنتكس المفاهيم ، وتنقلب الحقائق ، وتختلط الأمور ، فلا يصفيها وينقيها ويضع نقاطها على حروفها إلا المحققون من العلماء ، والراسخون في العلم عقيدةً ومنهجاً وفقهاً وخلقاً .

ومن ثم كان الواجب المناط على عواتقهم عظيماً وكبيراً ، يتمثل في كشف الأباطيل ، ودحض الشبهات ، وبيان الحق ، والتحذير من إثارة الفتن والشائعات والإرجاف والغيبة والنميمية ، وكل قول خارج عن قواعد الشريعة ، وضوابط المعقول ، مع الرد على المشككين ، والوقوف في وجه الملبسين والمروجين والمشوهين ،

وأصحاب الأهواء ، وتبصير الناس بخطورة ذلك ، وتحذيرهم من كل دعوة مضللة وفكر منحرف ، وما يترتب عليه من المفاسد الدينية والدنيوية وتوهين لجسد الأمة ، وفتّ في عضدها ، وشق عصا اجتماعها ، وتسهيل لمهمة العدو في النيل منها ، وبيان ذلك لهم باللسان والقلم وكل ما يستطاع بأسلوب علمي رصين ، وموضوعية مثمرة ، وعدل وإنصاف ظاهرين ؛ ليحيى من حي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .

أولاً : تعريف الشائعات (١):

إن الشائعات هي تلك الأقاويل والأخبار التي يتناقلها كثير من الناس جهلاً أو بقصد الإرجاف وإخافة الآمنين ، بغض النظر عن كونها صحيحة أو غير صحيحة .

ولقد ابتلي فئام من المجتمع بتلقف الروايات وافتعال الأحاديث في هذا الزمان وبشكل ملفت للانتباه مع الزيادات عليها والتلميع لها ؛ لتكون أقوى أثراً وأكثر فاعلية متجاوزين في ذلك حال الكهان الذين يتلقى عنهم الشياطين قبل بعثة الرسول ε ، وإذا تأمل الإنسان

---

(١) في اللغة مأخوذة من شاع الخبر في الناس وأشاعه ؛ أي : انتشر وافترق وذاع وظهر . لسان العرب ١٩١/٨ (شيع) .

لحال هؤلاء المشيعين المذيعين مرضى القلوب ؛ وجد أنهم أبعد الناس عن الإيمان والتقوى ظاهراً وباطناً .

أسباب الشائعات :

ليعلم أن الأسباب التي تدفع إلى التلبس بهذا الأمر المهني الخطير لا تخرج عن الآتي :

أولاً : الهوى :

فصاحبه دائماً يعمل على تحسين ما هو عليه ، والدعوة إليه وبكل وسيلة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة ، ورد كل ما يخالف هواه وانتقاده وتشويهه والصد عنه ، وصدق الله العظيم إذ يقول : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } [الجاثية ٢٣] . يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات ، فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، كما قال تعالى : { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ} [القصص : ٥٠]

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء ، كما كان السلف يسمونهم : أهل

الأهواء ، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه ، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله ε .

ومن نصب شخصاً كائناً من كان ، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) أ . هـ .

ثانياً : الجهـل :

فبعض أبناء المجتمع يأخذ بهذه المفتريات والمختلفات ، وينشرها بين أهله وأصدقائه وغيرهم على أنها حقائق مسلمة ثابتة لا تقبل الجدل ، دون مراعاة ونظر لعواقبها الوخيمة وأضرارها الخطيرة ، فليس له هم إلا أن يلوك لسانه هنا وهناك وكأنه مكلف بذلك ولا يتم دينه إلا به ، وهؤلاء غالباً ما يكونون مفترين بما هم عليه ، أو مغرراً بهم من قبل أصحاب الهوى والشهوة والشبهة الذين اتخذوا طريقاً وسبيلاً ليس فقط لنشر الشائعات ، بل لكل أمر يخدم أهدافهم ومصالحهم .

ثالثاً : النفـاق :

يقول الله تبارك وتعالى : { لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً } [الأحزاب : ٦٠] ، وهو مرض خطير ، وشر مستطير ، عانت منه الأمة الإسلامية أشد المعاناة ، وذاقت بسببه

الـويلات ، ومـا مـن فتنـة ولا شـر إلا كـان للمنـافقين اليـد الأولـى والطولى في إشعالها ونشرها ، وتولي كبرها منذ عهد الرسول ε إلى يومنا هذا ، وما حادثة الإفك ببعيدة عن ذهن كل مسلم .

والمنفقـون حـالهم ومـآلهم معروفـة مـن الكتـاب والسـنة ، وقـد وصفهم الله سبحانه بأنهم هم العدو ، وحذر رسوله ε منهم ، وذلك لأنهم يظهرون الإسلام ، ويبطنون الكفر ، يبدون الصلاح والتقوى والإخلاص ، ويكتمون العداء والحقد والحسد والبغضاء عياذاً بالله ، وحقدهم على الإسلام والمسلمين وبغضهم لهما جعلهم يتلبسون بهذه الصفة التي استحقوا بها أن يكونوا في الدرك الأسفل من النار .

وبنـاءً علـى ذلك فـإنهم لا يتورعون عن سلوك أي طريـق ولا يتركون أي وسيلة من أجل الوصول إلى ما يصبون إليه من هدم للإسلام وقضاء على المسلمين ، إشاعة ، أو إذاعة ، إرجافاً أو إخافة ، كذباً أو بهتانـاً، مع مـا يـلازم ذلـك مـن تتبـع للعـورات ، وكشـف للأستار ، رائدهم في ذلك تلك القاعدة الخبيثة : " الغاية تبرر الوسيلة " .

رابعاً : مرض القلب :

الـذي يصـاب بـه ناقصـو العقـول ، وضـعيفو الإيمـان ، سـفهاء الأحـلام، قليلـو العلـم ، حتـى يـتمكن مـنهم ، ويتغلغـل فـي نفوسـهم ،

وتتشرَّبه أفكارهم وأذهانهم ، فتصبح الغيبة والنميمة وإشاعة الفتنة، وتصدير الأخبار وتوريدها على ما هي عليه من علات وسوء وضرر ، عادتهم وديدنهم وخلاقهم وشأنهم كله ، فلا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، ولا يقر لهم قرار إلا بتولي كبر هذه المحرمات بل الكبائر، معللين لأقوالهم وأفعالهم ومدللين بحجج واهية ساقطة متردية متهافتة، مع افتخارهم واعتزازهم بذلك ، وظهور نشوة قصد الخير والإصلاح عليهم ، وكأنهم أتوا بما لم تأت به الأوائل ، نسأل الله السلامة والعافية ، وهم فعلاً جاءوا بما لم تأت به الأوائل من الجبن وزرع الشر والفساد في المجتمع .

خامساً : محبة الإرجاف وإخافة الناس :

وهذه أيضاً من صفات المنافقين وأساليبهم ، فنجد المصابين بذلك يعملون بما أوتوا من جهد على نشر كل ما من شأنه إحداث القلق والرعب في نفوس الآمنين ، صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً ، محققين بهذا الأسلوب رغبات شخصية ذاتية منبعها الشهود ، والتشفي في إيذاء الآخرين ، وإعطاء أنفسهم المكانة الخاصة ، والمنزلة المتميزة في هذا المجتمع أو ذاك ، إضافة إلى ما يقومون به من خدمة للأعداء البارزين والمستترين .

سادساً : الفراغ المقرون بالشباب والغنى :

يقول الناظم :

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

ويلحظ أن أغلب من يتناقلون الشائعات أو يحدثونها تتحقق فيهم هذه الدوافع الثلاثة القوية والمؤثرة .

فالشاب إذا لم يوجه التوجيه الصحيح المنطلق من كتاب الله وسنة رسوله ε وما كان عليه السلف الصالح ، ويربَّى تربية قائمة عليها ، فإنه سيكون محلاً ومكاناً ووعاء لكل أمر سيئ مادياً كان أو فكرياً ، فبالتالي يجد فيه الأعداء أرضية خصبة ، وطريقاً قوياً مؤثراً لخدمة أهدافهم ، وتحقيق مآربهم ، دون وازع أو رادع .

الغيبة وأثرها على المجتمع :

ومن الأمراض التي تفشت في مجتمعنا في هذه الأيام وبصورة كبيرة مرض الغيبة ، غيبة الناس بعضهم لبعض ، غيبة ولاة الأمر ، غيبة العلماء ، وقد انتشر ذلك الداء بين الصغير والكبير ، بين الذكر والأنثى ، بين عامة الناس ومتقفيهم ، وهذا والله نذير سوء ، بسبب الحقد والبغضاء ، والنزاع والافتراق والفتن ، وكل ذلك مخالف لما جاء به ديننا الحنيف .

والغيبة لا شك أنها من كبائر الذنوب التي يجب على المسلم الحق أن يبتعد عنها ، ويحذِّر غيره منها ، يقول الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات : ١٢] .

المقوم الثاني عشر : الوفاء بالعهود والمواثيق :

هذه الميزة من أعظم الميزات التي يظهر بها عدالة الإسلام ورحمته وحكمته وشموليته ، وتعد أصلاً من أصول الدين ، وقاعدة من قواعده العظيمة ، أمر الله بها في آيات كثيرة ، وأوضحها رسول الله ع في أحاديث كثيرة أيضاً ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ }[١] .

يقول الشيخ السعدي يرحمه الله[٢]: وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود ، أي بإكمالها وإتمامها ، وعدم نقضها ونقصها ، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وربه من التزام عبوديته ، والقيام بها أتم قيام ، وعدم الانتقاص من حقوقها

(١) سورة المائدة ، من الآية : (١) .
(٢) تفسير السعدي ، ص : (٢١٨) .

شيئاً ، والتي بينه وبين الرسول ε بطاعته واتباعه ، والتي بينه وين الوالدين والأقارب ، ببرهم وصلتهم ، وعدم قطيعتهم ، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر ، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات كالبيع والإجارة ونحوهما ، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها ، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }(١) بالتناصر على الحق والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع ، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه ، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها ، والعقود هي العهود(٢) .

وقال تعالى : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا }(٣) .

وقال تعالى : { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً }(٤) .

وقال تعالى : { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً }(٥) .

---

(١) سورة الحجرات ، من الآية : (١٠) .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (١٣٨/٢٩) .
(٣) سورة الأنعام ، من الآية : (١٥٢) .
(٤) سورة الإسراء ، من الآية : (٣٤) .
(٥) سورة الأحزاب ، الآية : (١٥) .

فقد أمر سبحانه بالوفاء بالعقود وهذا عام ، وكذلك أمر بالوفاء بعهد الله ، وبالعهد ، وقد دخل في ذلك ما عقده المرء على نفسه بدليل قوله : { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ } فدل على أن عهد الله يدخل فيه ما عقده المرء على نفسه وإن لم يكن الله قد أمر بنفس ذلك المعقود عليه قبل العهد(١) .

والوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل ، كما قال تعالى :{ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }(٢) .

والوفاء بالعهود من التقوى ، قال الله تعالى : { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }(٣)، وقال تعالى : { فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }(٤)، وقال تعالى : { فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }(٥) .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (١٣٨/٢٩) .
(٢) سورة التوبة ، الآيات : (٧٥، ٧٦، ٧٧) .
(٣) سورة آل عمران ، الآية : (٧٦) .
(٤) سورة التوبة ، من الآية : (٤) .
(٥) سورة التوبة ، من الآية : (٧) .

فقد بين أن الوفاء بالعهود من التقوى التي يحبها الله ، والوفاء بالعهود هي جملة المأمور به ، فإن الواجب إما بالشرع أو بالشرط ، وكل ذلك فعل مأمور به ، وذلك وفاء بعهد الله وعهد العبيد[١] .

ومن أكبر أصول الدين ومصالحه التي يتحقق بها انتشاره القيام بالقسط ، والوفاء بالعهود ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ }[٢] ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ }[٣] .

فهذا الأصلان العظيمان – وهما القيا بالقسط الذي هو العدل التام على الأنفس والأقربين والأبعدين ، والأصدقاء ، والمعادين ، والوفاء بالعهود والمعاقدات كلها من أكبر أصول الدين ومصالحه ، وبها يتم الدين ، ويستقيم طريق الجهاد الحقيقي ، وتحصل الهداية والإعانة من الله والنصر والمدافعة ، فما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والغدر ، وبهذين الأصلين حصل للدين الإسلامي من العز والشرف والرقي وقهر الأمم الطاغية ما لم يحصل لغيره .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (٢٠/١٣٥) .
(٢) سورة النساء ، من الآية : (١٣٥) .
(٣) سورة المائدة ، من الآية : (١) .

وبهذه الروح – روح الرحمة والعدل والوفاء – وصل الدين الإسلامي إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ودانت منه الأمم المتباينة طوعاً وانقياداً ورغبة ، وبتركه انقض الأمر ، ولم يزل الهبوط مستمراً ، إلا أنه يحصل نفحات في بعض الأوقات بها ينتعش الدين إذا تشبثوا بشيء من هذه المقومات النافعة ، لهذا تجد القوات والحضارات الهائلة التي يزعم أهلها أنها راقية في كل أحوالها لما كانت مبنية على الظلم والجشع والطمع ، وعدم المبالاة في ظلم الأمم الضعيفة ، وكانت إذا قطعت عهودها ونفذت معاهداتها لم تبال بعد ذلك وفت أو غدرت ، وإنما تلاحظ أطماعها الخاصة وأغراضها الردية ، ولسان حالهم يقول: السياسة مبنية على المكر والخداع والختر والغدر ، لما كانت مع قوتها الهائلة مبنية على هذه الأصول المنهارة كانت هذه المدينة المزعومة ، والحضارة المدعاة مهددة كل وقت بالفناء ، والهلاك والتدمير ، والواقع أكبر شاهد على ذلك ؛ فلو أنها بنيت على الدين الحق والعدل واتباع الحق والوفاء بالمعاقدات ونصر المظلومين لكانت مدنية آمنة ، ولكنها في الحقيقة مادية محضة ، والقوة المادية إذا لم تبن على الحق فإنها منهارة لا محالة "[١].

(١) وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني للشيخ السعدي ، ضمن

وبهذا يتضح أن الوفاء بالعهود من أعظم ميزات هذا الدين ، وسبب رئيس لانتشاره ، وأن هذا عام في المعاهدات ، والمعاقدات التي تكون بين المسلم وأخيه ، وكذلك التي تكون مع المخالف في الدين .

ولذلك فالكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد[1]، وأهل العهد ثلاثة أضعاف : أهل ذمة ، وأهل هدنة ، وأهل أمان ، وقد عقد الفقهاء لكل صنف باباً ، فقالوا : باب الهدنة ، باب الأمان ، باب عقد الذمة، ولفظاً " الذمة والعهد " يتناول هؤلاء كلهم في الأصل ، وكذلك لفظ " الصلح " فإن الذمة من جنس لفظ العهد والميثاق ، وقولهم هذا في ذمة فلان أصله من هذا ، أي : في عهده وعقده ، أي فألزمه بالعقد والميثاق ، ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته ، سواء وجب بعقده أو بغير عقده[2].

قال ابن القيم – رحمه الله – : أهل الذمة : عبارة عمن يؤدي

مجموعته ، الثقافة الإسلامية ، ص : (١٩٥–١٩٦) .
وانظر : ص : (١٧١) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : (٤١٧/٩) من حيث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان المشركون على منزلتين من النبي ε والمؤمنين ، كانوا مشركي أهل حرب ، ومشركي أهل عهد ، لا يقاتلهم ولا يقاتلونه .

(٢) انظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم : (٨٧٣/٢) .

الجزية ، وهؤلاء لهم ذمة مؤيدة ، فقد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله ، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله ، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم ، سواء كان الصلح على مال أو غير مال ، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة ، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين ، وهؤلاء يسمون أهل العهد ، وأهل الصلح ، وأهل الهدنة .

وأمّا المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها ، وهؤلاء إما رسل ، أو تجار ، أو مستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن ، فإن شاءوا دخلوا فيه ، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم ، وإمّا طالبو حاجة من زيارة أو غيرها ، وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ، ولا يقتلوا ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلامي والقرآن ، فإن دخل فيه فذلك ، وإن أحب اللحاق بمأمنه الحق به ، ولم يعرض له قبل وصوله إليه ، فإذا وصل مأمنه عاد حربياً كما كان(١) .

وليس من دين الكفار نقض العهود ، كما أن المسلم ليس من دينه استحلال دمائهم وأموالهم وأذاهم بالهجاء والسب إذا لم يعاهدهم،

---

(١) المصدر السابق : (٨٧٤/٢) .

ولـيس مـن دينـه اسـتحلال ذلـك إذا عاهـدهم ... فـإن المعاهـدة بـين المتحاربين تحرم على كل واحد منهما في جبنـه مـا كـان يستحله من ضـرر الآخر وأذاه قبل العهد ... ، ولـيس مـن ديـن الكفار استحلال نقض العهد ،ولا مخالفة من عاهدوه في شـيء مما عاهدوه ، بل من دين جميع أهل الأرض الوفاء بالعهد [١].

ولذلك أمر الله سبحانه بإتمام العهد إلى مدتـه والوفـاء بالعقد فـي آيـات مـر كثيـر منهـا ، ولا يجـوز بحـال مـن الأحـوال لأي أحـد مـن المسلمين الاعتداء على المعاهدين ، أو نقض عهدهم ، قـال ε : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة) [٢].

ولعل من المناسب ونحن نتحدث علـى الوفـاء بـالعهود أن نـورد حديث بريدة – رضي الله عنه – المتضمن وصايا عظيمـة تعد أسسـاً فـي التعامـل مـع غيـر المسـلمين فـي حـال الحـرب والسلم ، ويوضـح أهمية الوفـاء بـالعهود معهم ، حيث يقول ε موصياً من يـؤمره علـى جيش أو سرية في خاصته بتقوى الله ومن معه مـن المسلمين خيـراً ، ثـم يقـول : (اغزوا باسم الله ، فـي سبيل الله ، قـاتلوا مـن كفر بـالله ، اغـزوا ولا تغلـوا ولا تغـدروا ، ولا تمثلـوا ، ولا تقتلـوا وليـداً ...)

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية : (٢/٤٥٠) .
(٢) سيأتي تخريجه .

الحديث [(١)] .

وفي هذا الحديث أنواع من الفقه :

منها : وصية الإمام لنوابه وأمرائه وولاته بتقوى الله والإحسان إلى الرعية ، فبهذين الأصلين يحفظ على الأمير منصبه ، وتقر عينه به ، ويأمن فيه من النكبات والغير ، ومتى ترك هذين الأمرين أو أحدهما فلابد أن يسلبه الله عزه ، ويجعله عبرة للناس ، فما سلبت النعم إلاّ بترك تقوى الله ، والإساءة إلى الناس .

ومنها : أن الجيش ليس لهم أن يغلوا من الغنيمة ، ولا يغدروا بالعهد ، ولا يمثِّلوا بالكفار ، ولا يقتلوا من لم يبلغ الحلم .

ومنها : أن المسلمين يدعون الكفار قبل قتالهم إلى الإسلام ، وهذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم ، ومستحب إن بلغتهم الدعوة، هذا إذا كان المسلمون هم القاصدين للكفار ، فأمّا إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة ؛ لأنهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم [(٢)] .

ولما جمع الله بين العهد والأمانة جعل النبي ε ضد ذلك صفة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الأمراء على البعوث ، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها : (١٣٥٧/٣) ، برقم : (١٧٣١) .

(٢) أحكام أهل الذمة : (٨٧/١– ٨٨) .

المنـافق ، فقـال : (إذا وعـد أخلـف ، وإذا عاهـد غـدر ، وإذا خاصـم فجر) [١].

وعن أبـي أمامـة – رضـي الله عنـه – قـال : قـال رسـول الله ε : (يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب) [٢].

وقال تعـالى : { يُضِلُّ بِـهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ، الَّذِينَ يَنقُضُـونَ عَهْدَ اللَّهِ مِـنْ بَعْـدِ مِيثَاقِـهِ وَيَقْطَعُـونَ مَـا أَمَـرَ اللَّهُ بِـهِ أَنْ يُوصَـلَ وَيُفْسِـدُونَ فِـي الأَرْضِ}[٣]، فذمَّهم الله على نقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله بصلته ؛ لأن الواجـب إمـا بالشـرع ، وإمـا بالشـرط الـذي عقـده المـرء باختياره[٤].

فقـد جـاء الكتـاب والسـنة بـالأمر بالوفـاء بـالعهود والشـروط والمواثيق والعقود ، وبأداء الأمانة ورعاية ذلك ، والنهي عن الغدر ونقض العهـود والخيانـة والتشـديد علـى مـن يفعـل ذلـك ، ولمـا كـان الأصل فيها الخطـر والفسـاد ، إلا مـا أباحـه الشـرع لـم يجـز أن يـؤمر بها مطلقاً ويذم من نقضها وغدر مطلقاً ، كمـا أن قتـل النفس لمـا كـان

---

(١) أخرجه البخاري في باب علامة المنافق : (٨٦٨/٢) ، برقم : (٢٣٢٧) .
ومسلم في كتاب الإيمان ، باب خصال المنافق : (٧٨/١) ، برقم : (٥٨) .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده : (٢٥٢/٥) ، والبيهقي في السنن الكرى : (١٩٧/١) .
(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٦ ، ٢٧) .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (١٤٢/٢٩) .

الأصل فيه الخطر إلا ما أباحه الشرع أو أوجبه لم يجز أن يؤمر بقتل النفوس، ويحمل على القدر المباح ، بخلاف ما كان جنسه واجباً كالصلاة والزكاة ؛ فإنه يؤمر به مطلقاً ، وإن كان لذلك شروط وموانع ، فإذا كان جنس الوفاء ورعاية العهد مأموراً به علم أن الأصل صحة العقود والشروط ، إذ لا معنى للتصحيح إلا ما ترتب عليه أثره ، وحصل به مقصودة ، ومقصود العقد هو الوفاء به ، فإذا كان الشرع قد أمر بمقصود العهود دل على أن الأصل فيها الصحة والإباحة (١) .

وإذا تمت العهود والمواثيق فإن الإخلال بها ونقضها من خلال المنافقين كما حكم رسول الله ε في الحديث الذي مر ذكره ؛ لكن ذلك فيما إذا كان عند الوعد أو العهد عازماً على أن لا يفي فهذا هو النفاق ، فقوله ε : (وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر) (٢) ينزل على عزم الخُلف أو ترك الوفاء من غير عذر ، فأما من عزم على الوفاء فعنَّ له عذر منعَهُ من الوفاء لم يكن منافقاً ، وإ، جرى عليه ما هو صورة النفاق ، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته ، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (٢٩/١٤٥– ١٤٦) .
(٢) سبق تخريجه .

ضرورة حاجزة[١] .

فالواجب على كل من وقع منه عهداً أو وعداً أم يفي به ،وأن يعظم أمر العهد والوعد ، ولا يعارضها بترخص جاف ، والشيطان يحرضه على الإخلال بذلك :" فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي والغالي فيه كالوادي بين الجبلين ، والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع ، هذا بتقصيره عن الحد ، وهذا بتجاوزه الحد ".

ثانياً : تعريف الإرهـاب :

المقوم الثالث عشر : الدعوة إلى كل خير والنهي عن كل شر :

إن تضمن الدين الإسلامي لكل خير وصلاح ، واشتماله على المحاسن التي لا يتضمنها أي دين محرَّف أو أي مبدأ ونظام منحرف من أكبر الوسائل الداعية إلى الدخول فيه عن تبصر وقناعة ، وذلك بالبراهين العقلية والفطرية ، والآيات الأفقية والنفسية ، قال الله تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي : (١٤٢/٣) .

الْحَقُّ }[١].

والضمير في قوله : " إنه الحق " راجع إلى القرآن .

وقيل : إلى الإسلام الذي جاءهم به رسول الله ε .

وقيل : إلى ما يريهم الله ويفعل من ذلك .

وقيل : غير ذلك [٢]، والأقرب أنه راجع إلى القرآن[٣]، والقرآن هو أساس هذا الدين ، وهو المبين لما اشتمل عليه من المصالح .

فهذا الدين الإسلامي بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله وما جاء به من القرآن أكبر البراهين القواطع الضرورية الدالة على أن الله هو الحق ، ورسوله حق ، ودينه حق ، وما عارض ذلك هو الباطل ، وهو نفسه جذاب لكل من قصده الحق ومعه إنصاف ، فإنه إذا نظر وحقق عقائده فإنه يدعو إلى الإيمان الصحيح بالله ، وبأوصافه العظيمة ، وأسمائه الحسنى ، وبكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبكل حق أخبر الله به ورسوله ، وبذلك تمتلئ القلوب إيماناً ويقيناً ونوراً وطمأنينة بالله ، وقوة توكل واعتماد عليه ، وذلك يوجب كمال الإخلاص لله ، والقيام بعبودته الظاهرة والباطنة ،

(١) سورة فصلت ، من الآية : (٥٣) .
(٢) انظر : فتح القدير للشوكاني : (٥٢٣/٤) .
(٣) انظر : تفسير السعدي ، ص : (٧٥٢) ، وتفسير ابن كثير : (١٠٥/٤) .

والتبري من الشرك كبيرة وصغيرة .

وإذا نظر إلى أخلاق الإسلام وجيده يحث على كل خلق جميل ، يحذر عن كل خلق رذيل ، ويدعو إلى القيام بحقوق الله وحقوق عباده بالمعاملة الحسنة .

وإذا نظر إلى تعاليمه وإرشاداته العالية رآه يحث على كل علم نافع زل للقلوب ، مطهر للأخلاق ، نافع للدين والدنيا ، وأنه مرشد إلى كل صلاح وإصلاح ، فشرح هذه الأمور للناس ... يقوي إيمان المؤمنين ، وتزداد بصائرهم ورغبتهم ، ويحمدون الله الذي من عليهم بهذا الدين الكامل الذي حوى كل خير علي وعملي ، وكل هداية ورحمة ، وهذا السبب الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وكذلك هو أكبر داع لمن وقف على حقيقته من الأجانب ، وخصوصاً المنصفين منهم ، فمريد الحق إذا وقف على حقيقته لم يتوقف في تفضيله على كل دين ، والمكابر يزلزل عقيدته ، تخفيف شره ، وبه تندفع شبه البطلين من الملحدين وغيرهم فإن الحق يستولي على القلوب ، ويزهق الباطل(١) .

ولا سبيل للبشر إلى الإصلاح والخير والسعادة إلا بهذا الدين فإنه ما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد إليها هذا الدين ، ولا

---

(١) وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني ، للشيخ السعدي ضمن مجموعة الثقافة الإسلامية ، ص : (٢٠٣–٢٠٤) .

خير إلا دل عليه ، ولا شر إلا حذر عنه ... فشرح الدين على هذه الطريقة شرحاً وافياً ، وتطبيق تعاليمه وهدايته على أحوال البشر ، وبيان أنها صالحة لكل زمان ومكان وأمة ،وأن الإنحراف والشر والضرر إنما يكون بفقد روح الدين أو نقصها ، وكذلك شرح أوصاف النبي ε ونعوته وأخلاقه التي من تدبرها وعرفها وفهمها حق الفهم علم أنه ε أعلى الخلق في كل صفة كمال ، وأن كل صفة مال له منها أعلاها وأكملها ، وأن الكمالات الموجودة في الرسل ε قد جمعت فيه على الوجه الذي لا يماثله فيه أحد(١) .

المقوم الرابع عشر : المحبـــة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : الحب اصل كل عمل من حق وباطل ، وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها ، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله ، كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ، فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان (٢) .

بل الحب أصل كل فعل وحركة في العالم ، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته ، فهو أصل كل

---

(١) المرجع السابق : (١/٢٠٤– ٢٠٥) .

(٢) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ضمن جامع الرسائل : (٢/٢٣٥) .

ترك[١] .

وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة ، وأعظمها في الحق محبة الله وإرادته بعبادته وحده لا شرك له ، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، ويجعلون له عدلاً وشريكاً علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين ، سواء كان ديناً صالحاً أو ديناً فاسداً .

فإن الدين هو من الأعمال الباطنة الظاهرة ، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله ، والدين هو الطاعة والعبادة والخلق ، فهو الطاعة على الدائمة اللازمة التي قد صارت عادة وخلقاً[٢] .

" والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل ، فالعابد محب خاضع ، بخلاف من يحب من لا يخضع له ، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر ، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه ... فإن كلاً من هذين ليس عبادة محضة " [٣] .

" وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله ε وحب الله أصل التوحيد العملي ، وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله

(١) انظر : المرجع السابق : (١٩٣/٢، ١٩٥) ، وروضة المحبة لابن القيم ، ص : (٩٥) .
(٢) انظر : المرجع السابق : (٢١٧/٢– ٢١٨) .
(٣) انظر : المرجع السابق : (٢٨٤/٢) .

وحده لا شريك له ، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو الإسلام "[١] .

وأصل الإشتراك العملي بالله الإشراك في المحبة ، قال الله تعالى : { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ }[٢] .

فأخبر أن من الناس من يشرط بالله ، فيتخذ أنداداً يحبونهم كما يحبون الله ، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله من هؤلاء ، فمحبة ما يحبه الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله ، وهو الحب في الله ولله ، ومحبة ما يحبه من الأعمال الباطنة والظاهرة ، وهي الواجبات والمستحبات إذا أحبت لله كان ذلك من محبة الله ، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده كما ورد في الحديث الصحيح : (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه) [٣] .

وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته – كما في الحديث الصحيح في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ بـ : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}

---

(١) المرجع السابق : (٢٥٤/٢) .
وانظر : روضة المحبين لابن القيم – رحمه الله ، ص : (٥٢) .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : (١٦٥) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق ، باب التواضع : (٢٣٨٤/٥) ، برقم: (٦١٣٧) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

فأخبر النبي ε بذلك فقال : (سلوه لأي شيء يصنع ذلك) فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ε : (أخبروه أن الله تعالى يحبه) [(١)] ... بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات كما قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ }[(٢)] .

فمن كان صادقاً في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة ، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما [(٣)] .

" فالغايات المحمودة في أفعال الله هي الحكمة التي يحبها ويرضاها ، وخلق ما يكره لاستلزامه ما يحبه وترتب المحبوب له عليه، ولذلك يترك سبحانه فعل بعض ما يحبه لما يترتب عليه من فوات محبوب له أعظم منه ، أو حصول مكروه أكره إليه من ذلك المحبوب، وهذا كما ثبَّط قلوب أعدائه عن الإيمان به وطاعته ؛ لأنه يكره طاعتهم ، ويفوِّت بها ما هو أحب إليه منها من جهادهم ، وما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ε أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى : (٢٦٨٦/٦) ، برقم : (٦٩٤٠) .
ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية : (٣١) .

(٣) انظر : قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل لشيخ الإسلام : (٢/٢٥٦–٢٥٨) .

يترتب عليه ن الموالاة فيه والمعاداة ، وبذل أوليائه نفوسهم فيه ، وإيثار محبته ورضاه على نفوسهم "[١] .

هذا فيما يتعلق بالمعاملة مع الله ، من أولياء الله المؤمنين ، فيكون الأصل في ذلك ما يتعلق بمحاب الله .

أما ما يتعلق بالمعاملة مع أعداء الله فإنه ينطلق من هذا الأساس أيضاً ، سواء في الجهاد والمدافعة ، أو في الدعوى التي تسبق هذه المرحلة ، ولذلك يكون الدافع إلى الدعوة حب الخير لهم ، وذلك بدخولهم في دين الله ، وعصمة دمائهم وأموالهم بذلك ، وتحقيق الغاية العظمى ، وهي رضا الله ومحبته ودخول دينه ، ولهذا من يتأمل سيرة النبي ε يجد أن المحبة والشفقة الشديدة تتمثل في دعوته للكفار سواء كانوا من قرابته كما حدث لعمه أبي طالب ، حتى أنزل الله عليه : { إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }[٢] .

أو كانــــوا من غير قرابته ، فقد أخرج البخاري من حديث أنس – رضي الله عنه –[٣] أن غلاماً من اليهود كان فقد مرض فأتاه النبي ε يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له أبوه : أطلع أبا القاسم ،

(١) انظر : روضة المحبين ، ص : (٦٠) .
(٢) سورة القصص ، من الآية : (٥٦) .
(٣) في باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه : (٤٥٥/١) ، برقم : (١٢٩٠) .

فأسلم، فخرج النبي ε وهو يقول : (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) .

إنها الحرص على الهداية ، ومحبة الخير للمدعو ، والشفقة عليه تظهر جلية واضحة في هذا الهدي النبوي الذي يجب أن يكون مثالاً يحتذى ، وسيرة يقتدى بها في دعوة المسلمين وغيرهم ، وتتمشى مع السمة العامة للدين ، وهو أنه دين المحبة بمعناها الشامل .

المقوم الخامس عشر: الحكمة والبصيرة :

الله سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ، ولا لغير معنى ومصلحة ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وق دل كلامه وكلام رسوله ε على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى[١] .

والإحكام الإتقان ، ووضع الشيء في موضعه ، فالله عز وجل وحده هو الحاكم ، وحكم الله إما كوني وإما شرعي .

فحكم الله الشرعي : ما جاءت به رسله ، ونزلت به كتبه من شرائع الدين .

وحكم الله الكوني : ما قضاه على عباده من الخلق والرزق ،

---

(١) انظر : شفاء العليل : (٨٧/٢) .

والحياة والموت ونحو لك من معاني ربوبيته ومقضياتها ، والله عز وجل حكيم بالحكم الكوني ، وبالحكم الشرعي ، وهو أيضاً يحكم لهما .

فكلا الحكمين موافق للحكمة ، لكن من الحكمة ما نعلمه، ومن الحكمة ما لا نعلمه ؛ لأن الله تعالى يقول : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }(١) .

نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه ، وأن يجعلنا من المواطنين الصالحين الملتزمين بتعاليم ديننا المتبعين لكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ع .

---

(١) سورة الإسراء ، من الآية : (٨٥) .

تعليق

سماحة الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد :

تحدث على مسامعنا جميعاً فضيلة الشيخ الدكتور : سليمان بن عبدالله أبا الخيل ، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وكان موضوع حديثه : بيان حقيقة المواطن الصالح وماهية المواطنة المحبوبة والمذمومة " تحدث الشيخ بإسهاب حول هذا الموضوع :

هذا الموضوع إذا أراد المسلم أن يؤصله في الشرع يجد أن لهذا أصلاً بمعناه : أن حب الوطن إذا كان حباً يدعو إلى موالاه المؤمنين . وكف الشر والأذى عن المسلمين وحماية دينهم ثم حماية أمنهم ثم حماية مجتمعهم واقتصادهم وإبعاد شبح الشر والبلى عن واقعهم والحرص على توحيد الكلمة واجتماع الصف ووحدة الهدف على إن ذلك خير .

والمؤمن يحب في الله ويوالي في الله ، فهو لا يحب الوطن كتربة إنما يحب الله وفي الله ، فأهل الإيمان يحبهم ويحب أوطان أهل الإيمان ، ويرى الدفاع عن أوطان أهل الإيمان ومعقل المسلمين ، يرى الدفاع عنه ديناً يدين الله به ، ولهذا أثنى الله على المرابطين في سبيله فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } ، والمرابطة: البقاء في الثغور حماية للأوطان من أن يتسرب إلى الأعداء ، وكان سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين يرون البقاء في الثغور ديانة ، وقد جاء فيه أحاديث في فضل المرابطة الإسلامية لحماية المجتمع المسلم ووقايته من كل مكروه والدفاع عنه لأن هذه أمور شرعية فكانت الثغور الإسلامية تعج بالعلماء والفضلاء وذوي التقى والصلاح الذين يرون المرابطة فيها ديانة اتباعاً لهدي النبي ε المبيّن أن الرباط يوماً في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ؛ لهذا كان المسلم يحب أوطان المسلمين ويواليها ، لأنه يرى أهل الإسلام فيها كثير ويرى المسلمين فيها متواجدين

فهو يحمي أوطانهم ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة سواء بيده، بلسانه ، بقلبه فهو يحب الإسلام ويحب أهله ، لأن الله جل وعلا يقول: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } فمن لازم ولاية المسلم للمسلم أن المسلم يجد في قلبه حباً للإسلام وأهله وحباً

لأوطان المسلمين وشفقة عليها وحماية لها من أن تمتد إليها أيدي العابثين وأيدي المفسدين والمغرضين الذين يريدون أن يحولوا بلاد الإسلام إلى بلاد فوضوية لا تربطها دين ولا أمن ولا استقرار ، بل تكون بلاداً تابعة لهم وبلاداً منحلة من قيمها وفضائلها .

إن المجتمع المسلم يجب أن يحاط بالنصيحة والعناية وأن يحرص المسلم على حمايته والدفاع عنه ، ولهذا من قتل دون ماله فهو شهيد ، من قتل دون أهله فهو شهيد ، فالذي يدافع عن بلاد الإسلام ويحمي حوزة الإسلام ويحاول أن يجعل الأمة تعيش في طمأنينة واستقرار ورغد من العيش يعبدون الله ويحكمون شرعه وينفذون أوامره ويبتعدون عن نواهيه يعد ذلك ديانة ، لأنه يحرص على حماية الإسلام وأهله وأوطان المسلمين من كل سوء ، لأن الله جل وعلا فاوت بين العباد ، فبلاد غلب فيها الكفر والضلال ، وبلاد غلب فيها الحق والهدى ، فالبلاد التي غلب فيها الخير والهدى بلاد الإسلام التي يحن المسلم إليها ويحميها ويدافع دونها ويراها بلاد الإسلام ومعقل المسلمين إذا أصابها شيء فإن هذا المصاب سينسحب على الإسلام وعقيدته ومبادئه فهو من هذا المنطلق يدافع عن بلاد الإسلام ديانة يدين الله بها ، فالمسلم تراه لا تسمح نفسه بأن يرى مجرماً يحاول الفتك بالمسلمين أو يرى مجرماً يروج للمخدرات

أو يسعى في نشر الفساد والتفريق بين الأمة أو نشر المبادئ الهدامة والآراء المضللة أو يسعى في فرقة الأمة وتشتيت شملها أو ترويج الشائعات بينها ، قال الله تعالى : { لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً ، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً } ، فالمرجفون بين الناس الذين يروجون الإشاعات الباطلة ويروجون المقالة السيئة والتهم الباطلة ويلفقونها بالإسلام وأهله ، هؤلاء أعداء الإسلام يجب الحذر منهم والأخذ على أيديهم فإن الأمة إذا لم تأخذ على أيدي السفهاء عن باطلهم وتقف سداً منيعاً أمامهم حتى لا تنفذ سمومهم إلى مجتمعات المسلمين فهذا هو الواجب الإسلامي على المسلم .

نسأل الله التوفيق والهداية وأن يحمي أوطان المسلمين من ل سوء وأني رزق الجميع التمسك بالحق والاعتصام بحبله إنه على كل شيء قدير .. وجزى الله الشيخ عما قاله خيراً .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضـــــوع
	مقدمــة
	فصــل
	مقومات المواطنة الصالحة
	المقوم الأول : العمل بكتاب الله والأخذ به
	المقوم الثاني : اتباع السنة المطهرة
	المقـوم الثالـث : الأخـذ عـن العلمـاء والالتفـاف حـولهم والصدور عنهم فيما يتعلق بأمور الدنيا والدين
	المقوم الرابع : السمع والطاعة لولاة الأمر
	المقـوم الخـامس : البعـد عـن الخـلاف والاخـتلاف ، والفرقة والافتراق
	المقوم السادس : الحفاظ على أمن هذا البلد وأمانه
	المقوم السابع : المحافظة على مكتسبات هذا الوطن
	المقوم الثامن : التوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال ، والتعامل بالحسنى مع جميع خلق الله مسلمين أو غير مسلمين

الموضـــــوع	الصفحة
المقوم التاسع : التثبت في نقل الأخبار ، والبعد عن الشائعات والذين يروجونها ويرجفون في المجتمع من خلالها	
المقوم العاشر : رعاية المصالح والأمر بالإصلاح والنهي عن الفساد والإفساد	
المقوم الحادي عشر : العـدل	
أولاً : تعريف الشائعات	
أولاً : الهـوى :	
ثانياً : الجهـل	
ثالثاً : النفـاق	
رابعاً : مرض القلب :	
خامساً : محبة الإرجاف وإخافة الناس :	
سادساً : الفراغ المقرون بالشباب والغنى :	
المقوم الثاني عشر : الوفاء بالعهود والمواثيق	
ثانياً : تعريف الإرهـاب	
المقوم الثالث عشر : الدعوة إلى كل خير والنهي عن كل شر	
المقوم الرابع عشر : المحبـــة	

الموضـــــوع	الصفحة
المقوم الخامس عشر: الحكمة والبصيرة	
تعليق سماحة الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء	
فهرس المحتويات	